توظيف الحكاية الشعبية في الخطاب المسرحي - مسرحية غبرة الفهامة لكاتب ياسين أنموذجا

طالبة دكتوراه: بن عامر بهيجة
zohrakhou@yahoo.fr
جامعة تلمسان

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-06-06	2018-06-17	2018-06-26

ملخص البحث

تُعَدُّ الحكاية الشعبيّة من أبرز عناصر التراث التي وظفها كتاب ياسين مسرحيته "غبرة الفهامة"، وسأسعى في هذا المقال إلى إبراز طريقة توظيفه للحكاية الشعبية مبرزة أهم الدلالات التي اتخذها في النص المسرحي المدروس.
الكلمات المفتاحية: المسرح- الحكاية الشعبية- كاتب ياسين- التراث الشعبي- النص الدرامي.

Abstract

The most prominent folk tale elements employed by heritage book Yassin his play ' dust ' NTMs, and aim in this article is to highlight the method employed for folktale, highlighting the most important indications in the text considered theatrical.
Keywords: Theatre-folktale-writer Yassin-folklore-dramatic text.

مقدمة:

يحفل التراث الشعبي الجزائري بكم هائل من الحكاية الشعبية والتي مازالت محفوظة وشائعة حتى الآن، إما بفضل التدوين من خلال كتب التراث أو من خلال التواتر الشفاهي عبر الأجيال.

وتعتبر الحكاية الشعبية من أقدم الأجناس الأدبية التي ابتدعها الخيال الشعبي، كما تعد أهم أشكال التعبير الجمعي التي عبرت بها الشعوب عن واقعها وأحلامها، وهي تتحرك في عالم غير واقعي، وهي حكاية زاخرة بالعجائب تتجاوز حدود الكائن والممكن.

تتميز الحكاية الشعبية بالمرونة في بنيتها هذا ما ساعدها على إيداع أكثر من صورة درامية للحكاية الواحدة بفعل الحذف والإضافة والتبديل والتغيير والتداخل في عناصرها ..."

يقول صفوت كمال أن الحكاية ساعدت القاص على التدخل "بثقافته ومدركاته الحديثة وبراعته الأدبية في إنشاء صيغ جديدة للحكايات الشعبية، وتحوير العناصر المكونة للحكايات التي يرويها[1].

ويقول حسن عبد الحميد أحمد رشوان مبرزا خصائصها أنّ:"الحكاية الشعبية ثمرة تفكير إنساني وهي ليست عمل فردي بذاته بل من صنع الجماعة الإنسانية والمجتمع، وهي مجهولة المؤلف وهي ليست ثمرة عقل مجنون أو أفلت زمامه بقدر ما هي عبقرية إنسانية التي استطاعت ابتكار شخصيات لا تنسى مثل السندباد وعلاء الدين وعلي بابا"[2].

فالحكاية إذن هي تصوير للواقع والحياة بأسلوب واقعي فهي تحكي وتصف الواقع بحالاته الاجتماعية والتاريخية والواقعية والعقائدية والتقاليد والعادات ... وقد تكسبها صبغة جديدة.

وقد تتضمن الحكاية كل من السخرية والفكاهة اللاذعة (الهادفة)، والعبرة الرادعة والقدرة النافعة وكل وسائل الإقناع وحتى النقد.

- توظيف الحكاية الشعبية في الخطاب المسرحي عند كاتب ياسين مسرحية "غبرة الفهامة"

تمحورت مواضيع مسرحيات وأعمال كاتب ياسين حول ثنائية المستعمر والثوار، فكيف عالجها؟ وبأي أسلوب؟ وما الذي وظفه من تقنيات؟ وما هي مرجعياته؟

من خلال قرائتي لمسرحيات كاتب ياسين لاحظت أنّها تضمنت عدة مرجعيات ثرية وعميقة، منها المرجعيات السياسية والأسطورية والاجتماعية وحتى التاريخية ... وبالتالي تنوّع أسلوبه بتوظيفه لعناصر التراث الشعبي.

"نشأ المسرح معتمدا على التراث سواء الشعبي أو التاريخي أو الأسطوري ما جعله مصدرا أوليا ارتبط به كتاب المسرح واستمدوا منه مواضيع مسرحياته ..."[3].

فقد أدرك الكتاب المسرحيّون أنّ توظيف التراث يحقق لهم النجاح لأن الجمهور المتلقي متأثر بالتراث الشعبي وله مكانة في وجدانه، وله تأثير قوي على حياتهم اليومية من خلال الأشكال المسرحية التراثية كالحلقة ...

ومن أبرز الكتاب المسرحيّين الذين وظفوا التراث الشعبي "كاتب ياسين" ذو الثقافة العربية والفرنسية صاحب أشهر رواية على الصعيد العالمي "رواية نجمة"، ورباعيته "رباعية كاتب ياسين التي تحمل عنوان طوق الاضطهاد (1954- 1959) والتي تضم الجثة المطوقة ومسحوق الذكاء والأجداد يزدادون ضراوة وقصيدة الختم ...

إنها عبارة عن تركيبة من الفلكلور الشرقي والتراجيديا الإغريقية القديمة والأحداث التاريخية، عبارة عن سبيكة من الرموز والاستعارات والشخصيات الواقعية التي توحدها الهرمونيا"[4].

يغوص "كاتب ياسين" في التراث الشعبي المحلي لبناء نصوص عروضه المسرحية ويعبّر من خلالها عن تعلقه بالوجدان الشعبي وما تنمّ به الذاكرة الشعبية من كنوز ثقافية تحفظ للأمة أخلاقياتها وتخلّد بطولاتها عبر التاريخ. لهذا تجتمع الأسباب وتتوحد الغايات دافعة بكاتب ياسين وغيره إلى الاستلهام من القص الشعبي كأسلوب فني مناسب لطرح آرائه بكل حرية والهدف مخاطبة الشعب بذخائره الثقافية من حكم وأمثال وطرائف ونكت شعبية يعي جيّدا مقاصدها ومضامينها الخطابية التي وُظِّفتْ لأجلها.

لم يكن كاتب ياسين في ولعه بالتراث الشعبي متقيّدا بأصول الحكاية الشعبية، بل وظّفها توظيفا إيديولوجيا عبّر من خلاله عن آمال وآلام الشعب في معالجة قضاياه المصيرية. فلا ضرر من أن يضفي الكاتب المسرحي رؤيته الإبداعية في الموروث الشعبي وأن يطوّعه لخدمة قضايا عصره تحفيزا للتغيير الأصلح...،يقول "جحا" أو "سحابة الدخان" مخاطبا الشعب بإخبارهم واطلاعهم على اكتشافه الجديد "غبرة الفهامة":

جحا: يا أهل المدينة راكم صبحتو من الأغنياء

راني كتشفت المبدأ... شي لي راني كتشفتو غبرة الفهامة...غادي نفتح اكتتاب وطني رأس مالي شعبي في بنك مولانا السلطان...[5]

إنّ للحكاية الشعبية ذوقا فنيا خاصا في العمل المسرحي، تترك انطباعا في ذهن المشاهد- المتلقي، وتشعره بالارتياح النفسي والاشتياق لرؤية العرض بمجرد سماعه لأسماء غائرة في تاريخ الوجدان الشعبي سواء كانت أسطورية أو شعبية متعلقة بحكايات من الذاكرة الجماعية توارثتها الأجيال عبر الرواية الشفوية مثل ما يزخر به تراثنا المحلي، في أقاصيص "ألف ليلة وليلة" وحكايات "جحا" وأساطير الغولة، إلى غيرها من المعتقدات الحكائية القديمة.

فقد يرى أصحاب الاتجاه الأنثروبولوجي أنّ جلّ المجتمعات مرّت بنفس مراحل التّطور وبالتالي قد حملت عناصر تطوّرها في القصص... وهذا سر تشابه الحكايات الشعبية وموضوعاتها[6] بين الأمم.

وما دفع كاتب ياسين وغيره من المحدثين إلى استغلال هذا القص الشعبي أو الحكاية الشعبية كموضوع للمعالجة الدرامية.

فمن خلال مسرحيته "غبرة الفهامة" فإننا نلمس وبشكل كبير الفلكلور المحلي الذي وظفه للكشف عن المضامين الحديثة موظفا الأمثال الشعبية والنكات والسخرية عن طريق المعتقدات السائدة. إذْ اسْتَسْقَى من الفلكلور المحلي مسرحيته "مسحوق الذكاء" أو "غيرة الفهامة" فهي عبارة عن كوميديا نقدية لاذعة عالجت موضوع السلطة بأسلوب تهكّمي ساخر، كما تعرّضت لعلاقة السّيد والمسود هذا الأخير الذي تمثل في شخصية سحابة الدخان المغتربة ممثّل السواد الأعظم من الشعب المضطهد والذي استوحى ملامح شخصيته من الشخصية الشعبية المعروفة في التراث العربي "جحا" وقد كتبت حوله الكثير من الأساطير والطرائف والقصص والروايات...، يقول "جحا" مخاطبا قائد الجوق (بتهكم):

قائد الجوق: واش راك الدير وحدك مع هاذ لحمار؟

"جحا " : حمار..حمار نتاع العصر...

نتاع هاذ الوقت... حمار على وزن اعلام الي...

"جحا ": أما انا لقيت لحمار...الرمز راه واضح وضوح الشمس[7]

"جحا" إنسان على قدر سذاجته واستخفافه يتميّز بقدر هائل من الذكاء والفطنة والدهاء، وقد استغل كاتب ياسين مواصفاته في تجسيد شخصيته الفنية "سحابة الدخان" خصيصا للتهكم على ممثلي السلطة الذين صوّرهم في قمة الغباء وخصّصهم بصفة المرتزقة أصحاب الجشع والطمع على حساب مصالح الشعب الضائع تحت السياسة الفاسدة حيث يستغل سحابة الدخان سياسة التمويه.

يواصل "جحا" في خلق أكاذيبه واستعماله للحيلة الماكرة بالسلطان وحاشيته حتى يوقعهم في الفخ[8] بمساعدة زوجته "عتيقة"...، تقول "عتيقة": روح وشوف بنفسك بلاك كاينة حاجة، روح تخدم بلاك سما ترزقك.

"جحا": بردت...، املا مت...

عندك الحق يا مرا والله غير عندك الموهبة نتاع الحكم[9]

يلجأ كاتب ياسين في هذا النص إلى استخدام بعض الأقوال والطبائع والمعتقدات الشعبية المألوفة في مجتمعنا المحلي كالفال والجن والسحر والطيرة، وقد ظهر جليا من خلال النص في قول السلطان وخوفه من جحا وتشاؤمه برؤيته صباحا وهو ذاهب إلى الصيد قائلا:

السلطان: "أَعُوذُ بِالله عَلَى صْبَاحْ رَبِي صَبَحْتْ عْلَى وْجَهْ الهَمْ وَحنَا رَايْحِينْ للصِيدْ"

الجنرال: هذَا فَالْ مشْؤومْ

السلطان: رْمِيهْ في السْجنْ"[10].

وبعد استمتاع هذا السلطان بصيده الوفير، تغيرت وجهة نظره اتجاه جحا وتذكر أنه أوّل من التقاه صباحا فأمر بإطلاق سراحه وإعطاءه مكافئة.

فهذا اعتقاد شعبي استعان به كاتب ياسين في إنجاز هذا الإبداع المسرحي وهذا دليل على تشبثه بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري وتمسكه بجذوره العربية.

ونستخلص مما سبق:

- أنّ مسرحية "غبرة الفهامة" "لكاتب ياسين" من أهم المسرحيات التي وظف فيها عناصر الحكاية الشعبية.

- صور كاتب ياسين من خلال هده المسرحية "غبرة الفهامة" الواقع والحياة بأسلوب واقعي تهكمي وهذا هو أسلوب الكاتب.

- استلهام النص المسرحي من الحكاية الشعبية العربية والعالمية والمحلية بتوظيفه شخصية "جحا " وحكاية الحمار الذهبي وغيرها من المعتقدات المحلية الجزائرية.

- توظيف الأمثال والحكم والرمز الأسطوري من خلال الحكاية للتعبير عن فكر اديولوجي محض والموروث الثقافي العميق من جهة أخرى.

إحالات البحث

[1] - ينظر د. كمال الدين حسين "التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث"، ط 1، 1993، الدار المصرية اللبنانية، ص 77.

[2] - حسين عبد الحميد أحمد رشوان "الفلكلور والفنون الشعبية"، المكتب الجامعي الحديث، 1993، ص 58.

[3] - ينظر مناد الطيّب،"مسرحية الرواية الجزائرية"،أطروحة دكتوراه إشراف أ.د عباسة محمد،2005،جامعة وهران، ص 67

[4] - تمار ألكسندروفنا "ألف عام وعام على المسرح العربي"، تر: توفيق المؤزن، ط 2، ص 229.

[5]- كاتب ياسين، غبرة الفهامة: ترجمة يوسف ميلا، الطبعة 2007، ص27.

[6] - ينظر أحمد صقر "توظيف التراث في المسرح العربي" مركز الإسكندرية للكتاب، ط 2، 1998، ص 119.

[7]- كاتب ياسين، غبرة الفهامة، المرجع السابق، ص 12.

[8] - المرجع نفسه،ص23.

[9] - كاتب ياسين، المرجع السابق، ص 24.

[10] -Kateb Yacin, le cercle des représailles /la poudre d'intelligence. p 75 .

قائمة المصادر والمراجع

1- كاتب ياسين، "غبرة الفهامة".

2- كمال الدين حسين "التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث"، ط 1، 1993، الدار المصرية اللبنانية.

3- حسين عبد الحميد أحمد رشوان "الفلكلور والفنون الشعبية"، المكتب الجامعي الحديث، 1993.

4- مناد الطيّب،"مسرحية الرواية الجزائرية"،أطروحة دكتوراه إشراف أ.د عباسة محمد،2005،جامعة وهران

5- تمار ألكسندروفنا "ألف عام وعام على المسرح العربي"، تر: توفيق المؤزن، ط 2.

6- كاتب ياسين، "غبرة الفهامة": ترجمة يوسف ميلا، الطبعة 2007.

7- أحمد صقر "توظيف التراث في المسرح العربي" مركز الإسكندرية للكتاب، ط 2، 1998.

8- Kateb Yacin, le cercle des représailles /la poudre d'intelligence.